



أنوار السُّنة المُحمديَّة شرح رياض الصالحين (١٥) باب المراقبة (٣)

الشيخ أحمد السيد.

الفهرس

المقدمة:	٣
أهمية باب المراقبة:	٣
الحديث السادس:	٤
التعليق على الحديث:	٥
أهمية القصة وفائدتها وثمرتها وعناية النبي ﷺ بها:	٥
فوائد القصة:	٦
فائدة: أن يتذكر الإنسان النعمة.	٦
فائدة: كيف أتذكر النعم؟	٨
الحديث السابع:	١٠
التعليق على حكم الترمذي على الحديث:	١٠
تعليق الترمذي على الحديث من حيث معناه:	١١
التعليق على قضية "محاسبة النفس":	١١
كيف تكون محاسبة النفس؟	١٢
الحديث الثامن:	١٣
التعليق على حكم الحديث عند النووي:	١٣
التعليق على الحديث:	١٥
شرح "ما لا يعنيه":	١٥
المراهنة في الآخرة على مضاعفة الحسنات:	١٥
الحديث التاسع:	١٧
اسناد الحديث:	١٧
الخاتمة:	١٧

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا تبارك وتعالى ويرضى، الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه. اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد.

أما بعد؛ نستعين بالله، ونستفتح درسًا جديدًا من دروس شرح رياض الصالحين ضمن عنوان (الاستهداء بالسنة وأنوار السنة المحمدية)، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يصلي ويسلم على عبده ورسوله محمد، وأن يحشرنا في زمرة، وأن يجعلنا من الواردين على حوضه، ومن المعظمين لسنته، ومن يحيا، ويموت عليها. نختتم في هذا الدرس باب المراقبة.

أهمية باب المراقبة:

باب المراقبة بابٌ عظيمٌ من أبواب الدين، وهو من أهم الأبواب في التربية الإيمانية. وإن من أهم ما ينبغي أن يعتني به الشاب المسلم هو: قضية المراقبة، وأن الله يراه ويعلم أحواله، وأنه مُطلع على جميع أموره، وهذا من أهم ما ينبغي أن يُربَّى عليه الشباب ويُربَّى عليه الفتيان ويُربَّى عليه الأطفال، وهذه من مقدمات التربية؛ أن يربَّى الإنسان على أن الله يراه حيثما كان.

تخيل عندك مجموعة شتلات تختار منها واحدة فقط تزرعها في قلب إنسان، خاصة الفتيان أو الأطفال، أنا أقول لك لا تتردد، اختر هذه الغرسة، اغرسها، اختر مراقبة الله تعالى؛ أن تعلم أن الله يراك حيثما كنت هذه مفتاح من التوفيق، مفتاح من مفاتيح الخير، وهي التي أصلاً تجلب بعدها -بإذن الله تعالى- كل الأبواب.

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - : عن أبي هريرة رضي الله عنه : " أنه سمع النبي ﷺ يقول : " إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَبْرَصٌ ، وَأَقْرَعٌ ، وَأَعْمَى ، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الْأَبْرَصَ ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : لَوْنٌ حَسَنٌ ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ ؛ فَمَسَحَهُ ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا . فَقَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْإِبِلُ - أَوْ قَالَ الْبَقَرُ ، شَكَ الرَّأْيِي - فَأُعْطِيَ نَاقَةً عَشْرَاءَ ، فَقَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا .

فَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : شَعْرٌ حَسَنٌ ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذَرَنِي النَّاسُ ؛ فَمَسَحَهُ عَنْهُ ، فَذَهَبَ عَنْهُ ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا . قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْبَقَرُ ، فَأُعْطِيَ بَقْرَةً حَامِلًا ، وَقَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا .

فَأَتَى الْأَعْمَى ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي فَأُبْصِرَ النَّاسَ ؛ فَمَسَحَهُ ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصْرَهُ . قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْغَنَمُ ؛ فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا ، فَأَنْتَجَ هَذَانِ ، وَوُلِدَ هَذَا ، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ .

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدْ انْقَطَعَتْ بِي الْحِبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلَا بَلَغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ ، وَالْمَالَ ، بَعِيرًا أَتَبْلُغُ بِهِ فِي سَفَرِي ، فَقَالَ : الْحَقُّ كَثِيرَةٌ . فَقَالَ : كَأَنِّي أَعْرِفُكَ ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ ، فَقِيرًا ، فَأَعْطَاكَ اللَّهُ ؟ ! فَقَالَ : إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ .

وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ هَذَا ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ . وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِي الْحِبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلَا بَلَغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ شَاةً أَتَبْلُغُ بِهَا فِي سَفَرِي ؟ فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي ، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ ، فَوَاللَّهِ مَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . فَقَالَ : أُمْسِكْ مَالَكَ ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ ،

فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ" متفقٌ عَلَيْهِ. [صحيح البخاري: ٣٤٦٤،
ومسلم: ٢٩٦٤]

قال النووي - رحمه الله -:

- و"النَّاقَةُ الْعُشْرَاءُ" بِضَمِّ الْعَيْنِ وَفَتْحِ الشَّيْنِ وَبِالْمَدِّ: هِيَ الْحَامِلُ. قَوْلُهُ: "أَنْتَجَ" وَفِي رِوَايَةٍ: "فَنْتَجَ" مَعْنَاهُ: تَوَلَّى نِتَاجَهَا، وَالنَّاتِجُ لِلنَّاقَةِ كَالْقَابِلَةُ لِلْمَرْأَةِ.
- وَقَوْلُهُ: "وَلَدَ هَذَا" هُوَ بِتَشْدِيدِ اللَّامِ: أَيُّ تَوَلَّى وَلَادَتَهَا، وَهُوَ بِمَعْنَى أَنْتَجَ فِي النَّاقَةِ. فَالْمَوْلَدُ، وَالنَّاتِجُ وَالْقَابِلَةُ بِمَعْنَى، لَكِنْ هَذَا لِلْحَيَوَانِ وَذَلِكَ لِغَيْرِهِ.
- وَقَوْلُهُ: "انْقَطَعَتْ بِي الْحَبَالُ" هُوَ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ: أَيُّ الْأَسْبَابِ.
- وَقَوْلُهُ: "لَا أَجْهَدُكَ" مَعْنَاهُ: لَا أَشَقُّ عَلَيْكَ فِي رَدِّ شَيْءٍ تَأْخُذُهُ أَوْ تَطْلُبُهُ مِنْ مَالِي.
- وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ: "لَا أَحْمَدُكَ" بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالْمِيمِ، وَمَعْنَاهُ: لَا أَحْمَدُكَ بِتَرْكِ شَيْءٍ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ كَمَا قَالُوا: لَيْسَ عَلَى طَوْلِ الْحَيَاةِ نَدَمٌ: أَيُّ عَلَى قَوَاتِ طَوْلِهَا.

التعليق على الحديث:

هذا الحديث، وهو حديث عجيب عظيم جميل، وفيه قصة وعبرة. وقبل أن نذكر التفاصيل المتعلقة بالحديث نتذكر أهمية القصة.

أهمية القصة وفائدتها وثمرتها وعناية النبي ﷺ بها:

هذا الحديث إذا سمعته مرة لا تنساه، ولو كانت ذاكرتك جيدة جدًا، وما كنت مشغولًا بمشاكل اجتماعية ونفسية، وداخلًا في نقاشات ساخنة في شبكات التواصل، وخاصة لو كنت في حياة مثل ما كان عليه الصحابة، وتغذيتك جيدة، وأمورك تمام، وتنام ليلاً وتصحو نهارًا، وجالسًا مع النبي ﷺ وتسمع الحديث، لا تنساه؛ هي كلمات وجمل لا تنساها.

وكل ما يقصه النبي ﷺ فهو حق، وحين يقول: "إن ثلاثة من بني إسرائيل..."، هذا ليس ضرب مثل، وإنما هي قصة حقيقية وقعت.

فوائد القصة:

الفوائد من هذه القصة كثيرة؛ من أهمها:

فائدة: أن يتذكر الإنسان النعمة.

أهمية ألا ينسى الإنسان أحوال الضعف التي كان عليها؛ وهذه من أعظم الخصال ومن أذكى المعاني التي يُرزقها الإنسان. وبعكس ذلك، كلما نسي الإنسان ما كان عليه، من السهل عليه أن يجحد ويكفر النعمة، من السهل عليه أن ينسى، من السهل عليه ألا يقوم بلوازم النعم.

ولذلك، الله سبحانه وتعالى لما انتصر المؤمنون في بدر قال لهم: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

ويُذكر الله أوليائه وأنبياءه والمؤمنين بنعمه، القرآن مليء بالتذكير بالنعم:

- ﴿أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [المائدة: ١١٠].

- ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٣٧]؛ مننا عليك: أي أنعمنا عليك وأعطيناك وكذا...

- ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦-٨]

- ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۖ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ١-٤]

- ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] إلى آخر الآيات... آيات واضحة وصريحة في ذكر النعمة من الله على أنبيائه.

- وقال للمؤمنين: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٩].

- وكذلك الأنبياء قالوا لأقوامهم: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]

- وتذكير بني إسرائيل الكثير بإنجائهم من فرعون: ﴿إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [إبراهيم: ٦] إلى آخر ما ذكر في القرآن.

سبحان الله؛ الإنسان بطبيعته ينسى، والشيطان من أهم وظائفه أن يُنسي الإنسان حقائق الماضي. وحقائق الماضي التي ينبغي على الإنسان أن يذكُرَها هي أكثر من نوع، منها أن يذكر حاله قبل النعم: فحال الإنسان قبل النعم، يذكُرُه دائماً بقيمة النعمة التي منَّ الله بها عليه، وأسوأ شيء على الإنسان أن يعتاد النعمة فيستصغرها؛ هي طبيعة بشرية.

مثلاً في هذا الحديث، إنسان مريض، من الطبيعي أنه عندما يتغير حاله من المرض إلى العافية ينتبه، يشعر بالنعمة، فإذا استمر في العافية اعتاد. اعتياد مرور الأيام والليالي على الإنسان بالحالة الجديدة التي هو فيها يُنسيه ما مضى، وهذا النسيان مشكلته أنه أحياناً يحفر في الإنسان أخاديد معينة، تجعله يححد ما مضى، ليس فقط ينسى، بل يفعل مثل الذي فعله هذان الاثنان؛ قالوا: "إِنَّمَا وَرَثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ".

فهما درجتان في الإشكال:

(١) الدرجة الأولى: درجة النسيان.

(٢) الدرجة الثانية: درجة الجحود.

والأولى توصل إلى الثانية.

الحمد لله، طالما أننا نتكلم في دائرة الإنسان المؤمن، فإنه إن شاء الله ليس من أهل الجحود؛ لكن المشكلة في النسيان.

النسيان مشكلته ليست فقط في أنه يوصل إلى الجحود عند كثير من الناس، وإنما مشكلته أنه يقلل من قيمة النعمة في نفسك، ويقلل من شكرها، بينما يريد الله منك أن تشكر، ليس فقط النعم الحادثة؛ نعرف الحديث الصحيح "...رُكْعَتَانِ يَرْكُوعُهُمَا مِنَ الضُّحَى" [صحيح مسلم: ٧٢٠] مقابل المفصل، هذه نعمة غير جديدة، بل هي نعمة أساسية مولودة معك أصلاً.

فإذا سألنا: أيهما أولى بالنسيان، النعم الحادثة أم النعم القديمة؟ النعم القديمة الأساسية هذه أولى بالنسيان. لاحظ، تُحدث ركعتين من الضحى شكراً لله على المفصل، ليست مرة واحدة، بل كل يوم تُحدث لله شكراً على هذه النعمة.

نحن اليوم في توطين لحالة الجحود، وحالة قطع العلاقة بالله سبحانه وتعالى، ونسبة الأشياء إلى الطب والتفسيرات العلمية، وما إلى ذلك... لا نعرف كيف وصل الغرب إلى هذه الحالة؟ طبعاً هي لها تاريخ، لكن فكرة أنك كلما اكتشفت تفسيراً لقضية من القضايا تكون النتيجة أن تجحد خالق هذه الأشياء! بالعكس كلما تصل إلى قانون معين تقول: عجيب والله! سبحان الله! إذن، القضية ليست فقط الإتقان في هذا الظاهر، بل إن وراءها قانوناً، هذا يزيدني تعظيماً لله. هذه هي القضية.

هذه أول فائدة: وهي أن يتذكر الإنسان النعمة.

فائدة: كيف أتذكر النعم؟

سؤال لا بد للإنسان أن يستصعبه في حياته: كيف أتذكر النعم؟ أنا لن أجيب عن هذا السؤال، هذا ليس سؤالاً لإيجاد جواب، بل هذا سؤال ليكون عنواناً أنت تصاحبه في حياتك،

لا بد لك من طريقة في تذكر النعم. هذا ليس سؤالاً للصف الأول الابتدائي، نحسب أن هذه أسئلة الأطفال! لا؛ هذا سؤال للمؤمن، في كل يوم يجب أن يستصعبه.

كيف أتذكر نعمة الله علي؟ هل تأخذ لك وقتاً للتفكير! هل تأخذ لك أوراذاً معينة للشكر! هل تَدُكِّر النعمة يكون بالاستحضار وقت الحمد! لأنك أصلاً مفروض عليك الحمد؛ "ربنا ولك الحمد"،

و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وغيره. وحتى في السنن؛ الحمد لله ثلاثاً وثلاثين بعد كل صلاة وكذا... هذا المجال مفتوح.

الجميل أن الله سبحانه وتعالى بفضله ورحمته لا يُعَدُّ هذا الشكر منك مجرد أداء حق، بل يعتبره عبادة جديدة لها أجر عظيم، واسع، كبير جداً.

فالشكر ميزته في هاتين الثمرتين:

(١) ثمرة أداء الحق.

(٢) وثمره أنه عبادة جديدة يحبها الله سبحانه وتعالى، إلى درجة أنك قد تستصغر الشكر في قضية من القضايا، وتكون هي سبب رضا الله عن العبد؛ كما في رواية أنس: "إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا" [صحيح مسلم: ٢٧٣٤]. الحمد لله. قد يقول الإنسان كيف؟ أيعقل أن يُرضى عن العبد فقط لأنه قال: الحمد لله؟!

لكن هي ليست في مجرد اللفظ، هي في معنى القلب. الإنسان الذي يتذكر النعم، هو إنسان شكور يحبه الله، والإنسان الذي لا يتذكر النعم، هو إنسان جحود لا يحبه الله، هذه هي المعادلة باختصار شديد.

هذي من أهم الفوائد من الحديث.

قال النووي - رحمه الله تعالى -: عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ" رواه التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ: مَعْنَى "دَانَ نَفْسَهُ": حَاسَبَهَا [سنن الترمذي: ٢٤٥٩ / حسن].

التعليق على حكم الترمذي على الحديث:

- هذا الحديث من الأحاديث ضعيفة الإسناد، ضعفه واضح. وقول الترمذي: "حسن" معناه أنه لا يرى أن الذي في الإسناد، الذي هو أبو بكر بن أبي مریم، متروكًا.
- هذا الحديث من طريق أبي بكر بن أبي مریم، عن ضمرة، عن شداد. أبو بكر بن أبي مریم هذا أحد الضعفاء المشهورين، مختلف فيه؛ هل هو متروك أم ضعيف فقط. فإذا قلت: ضعيف، فهذا لا يتعارض مع قول الترمذي: حسن، وإذا قلت: متروك، فهو يتعارض؛ وفي مثل هذا -أي إذا كان متروكًا- يقول الترمذي: هذا حديث غريب. وهذا يؤيد أهمية مصطلحات الترمذي، لأن قول: حديث غريب، عند كثير من الناس، لا تعني تضعيفًا، وإنما تعني وصفه بأنه من طريق واحد. قول: غريب، يعني وصفًا وليس تصحيحًا وتعظيمًا.
- أضعف الأحاديث عند الترمذي يقول فيها: حديث غريب؛ وهذا يفتح بابًا للتعليق، ولكن هذا الدرس ليس للتوسع في التعليق الاصطلاحي، لكن فكرة الغرابة والتعليل بها مهمة جدًا عند الحفاظ المتقدمين، لكن لا يسع المقام الكلام في هذه القضية.
- الحديث عن طريق أبي بكر بن أبي مریم، عن ضمرة، عن شداد بن أوس. مثلاً ابن عدي -وهو أحد أكبر النقاد- رآه مثل رأي الترمذي، قال في أبي بكر بن أبي مریم: "الْغَالِبُ عَلَى حَدِيثِهِ الْغَرَائِبُ وَقَلَّ مَا يُوَافِقُهُ عَلَيْهَا الثَّقَاتُ"، ثم يقول: "وأحاديثه صالحة، وهو ممن لا يُحتجُّ بحديثه، ولكن يُكتب حديثه"، وهذا تساوي (حسن) عند الترمذي.

لكن أنا سأذكر هنا بعض الأمور المتعلقة بمعنى الحديث لأنها مهمة وفي نفس الوقت سأذكر تعليق الترمذي. الترمذي -رحمه الله- إمام، وكتابه كتابٌ ثمين جدًا. ولعل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا ضمن عنوان (أنوار السنة المحمدية) أن نأخذ بعض أبواب الترمذي؛ لأهمية هذا الكتاب الجليل ولأهمية تعليقات الترمذي -رحمه الله تعالى-.

تعليق الترمذي على الحديث من حيث معناه:

الترمذي له تعليقات، ليس فقط على حكم الحديث، وإنما له تعليقات في بيان معنى بعض الأحاديث، وله تعليقات في بيان مذاهب العلماء في أحاديث الأحكام؛ دائمًا يقول مثلاً: وإلى هذا الحديث ذهب الشافعي ومالك وكذا.

هنا الترمذي بعد أن ذكر الحديث وبيّن معنى "دان نفسه"، نقل نقلين جميلين سأقرأهما عليكم:

(١) قال الترمذي -رحمه الله-: "ويُروى عن عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- قال: **"حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا، وَتَزَيِّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ، وَإِنَّمَا يَخْفُ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا"**.

(٢) ثم قال الترمذي: "ويُروى عن ميمون بن مهران قال: **"لَا يَكُونُ الْعَبْدُ تَقِيًّا حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ كَمَا يُحَاسِبُ شَرِيكَه؛ مِنْ أَيْنَ مَطْعُمُهُ وَمَلْبَسُهُ"**.

التعليق على قضية "محاسبة النفس":

ذكرتُ قضية صحة الحديث، لكن الآن من حيث المعنى والوقوف عند بعض الجمل المهمة جدًا:

- أريد أن أعلق فقط على قضية **محاسبة النفس**، قول عمر بن الخطاب، الذي يُخَفَّف عنه الحساب يوم القيامة، هو الذي يحاسب نفسه في الدنيا.

- بعض الأعمال تعتبر بوابات لأعمال صالحة، وبعض الذنوب بوابات لذنوب أخرى. وإن من الفقه في الطريق التعبدية، ومن الفقه السلوكي، أن يحرص الإنسان على الطاعات القائمة إلى طاعات،

وأن يحرص على اجتناب الذنوب القائدة إلى ذنوب أخرى؛ فهذه تكون أهم ما يحرص الإنسان عليه وجودًا وعدمًا.

- محاسبة النفس من أهم ما يدخل تحت عنوان (الأعمال القائدة إلى أعمال أخرى)، الأعمال التي هي بوابات لكثير من الخير؛ فإن من يُوفق لمحاسبة النفس يوفق لخير عظيم جدًا، ومن أسوأ ما يُبتلى به الإنسان بلادة القلب، وبرود النفس أمام الذنوب والمعاصي.

- رأيتم كلام أنس: "إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمَوْبِقَاتِ" [صحيح البخاري: ٦٤٩٢]؟ هذا بسبب قلة المحاسبة، وقلة إنكار المنكر. من أعظم ما يبتلى به الإنسان في حياته أن يُبتلى بأن لا يحاسب نفسه.

أرأيتم قبل قليل، حين كنا نتكلم عن نسيان النعم القديمة وعدم الشكر؟ وقلنا: سؤال عظيم يجب أن يستصعبه كل واحد، وهو سؤال: كيف أتذكر النعم القديمة؟ وكيف أحافظ على شكر النعمة؟ نأخذ إحدى الإجابات بما أنه ذُكر:

- من أعظم وأهم الأسباب القائدة لتذكر النعم وشكرها: محاسبة النفس. كثير من الأسئلة التزكوية التي تبدأ بـ (كيف)، جوابها: أولاً: محاسبة النفس، وكثير من الأسئلة عن الذنوب والمعاصي البادئة بـ (كيف) -مثلاً كيف وقع الإنسان في ذلك أو لماذا؟- يكون الجواب الأول عنها هو: لعدم محاسبة النفس؛ ولذلك بالفعل هي الجواب الأول، وبالفعل هي من أهم ما ينبغي أن يحرص الإنسان عليه.

كيف تكون محاسبة النفس؟

ليس المقصود من محاسبة النفس أن يجمد الإنسان فيها على وسائل، فيركز في آلية محاسبة النفس، بل محاسبة النفس هي معنى، ومحرك في القلب، بعد ذلك قد يضع الإنسان له بعض الوسائل العملي وقد لا يضع له بعض الوسائل العملية، لكن هي تبقى وقودًا داخل النفس تحركها لقضية المحاسبة.

هذا هو أهم ما أريد أن أعلق به على هذا الحديث، وهو أهمية محاسبة النفس، وأنها قائدة إلى أنواع من الخير، وخطورة عدم محاسبة النفس، وأنها قائدة إلى أنواع من الشر.

قصص الزُّهاد والعلماء والعُباد من السلف الصالح كثير منها راجع إلى محاسبة النفس، مثل كلام ميمون بن مهران قبل قليل: "حَاسِبْ نَفْسَكَ كَمَا تُحَاسِبُ شَرِيكَكَ"، هذا مما اعتنى به المتقدمون كثيراً. وغير ذلك من القصص المعروفة عن المتقدمين وعنايتهم بهذه القضية.

فلذلك إذا وجدت أنك ممن يحاسب نفسه؛ فاعلم -بإذن الله- أنك على خير. هذه واحدة من مؤشرات التوفيق. أما إذا وجدت نفسك تمشي على عمى، ولا تحاسب نفسك، فاعلم أنك على خطر كبير جداً، ويجب أن يعيد الإنسان ترتيب أموره ليحاسب نفسه.

الحديث الثامن:

قال: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ" حديثٌ حسنٌ رواه التِّرْمِذِيُّ وغيره". [سنن الترمذي: ٢٣١٧ / غريب]

التعليق على حكم الحديث عند النووي:

النووي هنا ما عزاها إلى الترمذي، هو نفسه النووي -رحمه الله- قال: حديث حسن، رواه الترمذي وغيره.

أما الترمذي نفسه فقد ذكر أن الحديث مرسل، والمرسل ضمن عنوان الانقطاع، وأغلب ما يطلق على ما يرفعه التابعي للنبي ﷺ؛ يعني ما يقول التابعي فيه: قال رسول الله ﷺ، وهو لم يسمع من النبي ﷺ بطبيعة الحال، لأنه تابعي وليس صحابياً؛ فهذا يقال فيه: حديث مرسل.

وهذا الحديث "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ" لا شك ولا ريب في كونه مرسلًا. وإن قال النووي -رحمه الله تعالى-: "حديث حسن"، فإن من هو أعلى من النووي رتبة في الحديث، كالإمام البخاري، والإمام الدارقطني، والإمام الترمذي، وغيرهم من الأئمة المتقدمين الكبار، كلهم نصوا على أن هذا الحديث مرسل، وهكذا أخرجه الإمام مالك في موطئه، أخرجه مرسلًا من مراسيل علي، زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

فأخرجه مالك، عن الزهري شيخه -إمام من أئمة المسلمين من أئمة السنة-، عن علي بن الحسين قال: قال الزهري عن علي بن الحسين قال: قال رسول الله ﷺ: "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ".

وروي متصلًا، غير مرسل: عن الزهري -أظن-، عن سعيد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، ولا شك أن هذا الموصول خطأ.

بعض المتأخرين يرجحون مثل هذا الموصول، ومنهم النووي -رحمه الله تعالى، ولا شك أن المعتبر في ذلك هو كلام البخاري، والترمذي، والدارقطني، وأمثالهم من الأئمة والحفاظ المتقدمين.

فالحديث مرسل؛ وقول مرسل لا يعني أنه لا يُستأنس به، ولا يعني ذلك أنه لا يقال رُوي عن النبي ﷺ فلا نقطع يقينًا أن النبي ﷺ لم يقل ذلك، لكن الأصل التحوط؛ وبما أنه مرسل، أي ليس عندنا فيه إسناد متصل، فلا نستطيع أن نجزم بنسبته إلى النبي ﷺ، لكن نقول رُوي عن النبي ﷺ كذا وكذا.

المعيار عند المحدثين هو كون التابعي يتحرى في الرواية، لا كونه من آل البيت. وأحيانًا يكون التابعي من أئمة أهل السنة الكبار، ولكن مراسيله ضعيفة جدًا، مثل الزهري نفسه؛ الزهري هذا الإمام الفذ العظيم، الذي هو شيخ الإمام مالك، وأحد أئمة السنة، ليس لأنه ضعيف، بل هو من أثبت الناس وأحفظهم، لكن أحيانًا كلما كان الراوي أحفظ كان مرسله أضعف، عندهم فيها فلسفة معينة: لو كان له إسناد لصاح به أنه حافظ، ولكن بما أنه لم يأت بإسناد، معنى ذلك أنه ما حفظ فيه إسنادًا.

وأحيانًا يكون مرسلًا وقريبًا من الصحيح؛ بحكم استقراءات معينة يعرفون أن هذا الذي أرسل عنده من الدقة أو التتبع، وغالبًا يكون هذا المرسل من طبقة كبار التابعين، وكونه من الأئمة والعلماء له اعتبار، ليس اعتبارًا أساسيًا؛ لأنه قد يكون من أئمة العلماء، ومرسلاته ضعيفة **فالأساس هو في التحري.** فمثلاً، من الذين عُرف عنهم تقوية مراسيلهم عند العلماء سعيد بن المسيب، سعيد قديم وكبير، وكذلك إبراهيم النخعي.

هذا الحديث من الأحاديث التي يُستأنس بها، قال فيه ابن رجب في (جامع العلوم والحكم): "هذا الحديث أصل من أصول الأدب".

بعض العلماء ذكر أنه أحد أربعة أحاديث يدور عليها باب الأدب، أو نحو ذلك؛ فهو حديث مهم، وكما قلت، يُروى، ويوقف معه، ويُستأنس به، ويقال: يُروى عن النبي ﷺ كذا وكذا.

الحديث هذا كثيرًا ما يُساء فهمه، لأنه يُظن أن "مَا لَا يَعْنِيهِ" هو أن يتدخل في أمور الناس. هذا ابن رجب لما شرح الحديث كاملاً في (جامع العلوم والحكم) شرحه بما يساوي هذه العبارة: تَرَكُ مَا لَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ؛ "لا يعنيه" يعني: ما لا ينفعه، ما ليس من طريقه إلى الله، ما ليس مما يحتاجه في الآخرة، وليس أن هناك أمراً لأناس معينين غيره فإن هو تدخل في القضية فقد تدخل فيما لا يعنيه ففضول الكلام أيضًا يدخل فيما لا يعنيه، حتى ولو لم يكن إثماً في ذاته. هذا الحديث في باب الألفاظ قريب من قوله ﷺ: "فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ" [صحيح البخاري: ٦١٣٨].

يقول ابن رجب أيضًا في "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ": "فإذا ترك مَا لَا يَعْنِيهِ، وأتى بما يعنيه، كمل حُسْنُ إسلامه أو كمل إسلامه"؛ الكف هذا من حسن إسلام المرء، فإذا كف ثم أتى بما يعنيه، أي من الأذكار وما ينفعه في الآخرة، فقد كمل حُسْنُ إسلامه، أو كمل إسلامه. فهو بهذا الاعتبار أصل من أصول الأدب والسلوك، وأصل من أصول الدين، قس عليها ما شئت من ترك ما لا ينفع في الآخرة.

اللفتة الجميلة أيضًا، لفت لها ابن رجب -رحمه الله- في كلمة (حُسْنُ إسلام)، وهذي قضية في الحقيقة عظيمة جدًا، لأنها وردت عن النبي ﷺ، وثبتت عنه في الصحيح، وهذه القضية تحتاج إلى تأمل كبير: قضية مضاعفة الحسنات في الآخرة.

في الآخرة تعوّل على رحمة الله تعالى، وأعمالنا هي فقط سبب؛ لا تعول على كثرة العمل الذي تعمله، وإنما من أعظم وأهم ما ينفع في الآخرة، هو مضاعفة الحسنات؛ مثلاً خلال السنة تصدقت بعشر صدقات تتقرب بها إلى الله، حين تأتي يوم القيامة إذا ضاعفها الله سبحانه وتعالى لك، فعلاً تُحسب لك، قد تُحسب لك بسبعة آلاف صدقة، قد تُحسب لك بعشرة آلاف صدقة، هذه المراهنة في الآخرة؛ المراهنة على مضاعفة الحسنات.

من الذي تضاعف له حسناته؟ من أهم الأسباب التي تضاعف الحسنات حسن الإسلام؛ "إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ..." [صحيح البخاري: ٤٢]

فلذلك هناك إسلام وهناك حُسن إسلام؛ يُقال: أسلم وحُسن إسلامه؛ وهو الذي يُقبل على الخير ويجتنب الذنوب والمعاصي، ويحافظ، ويظل مواظباً على الخير، ويحقق التقوى، يظهر من آثار حبه للإسلام، من التضحية، وإيثار الآخرة على الدنيا، ما يُقال فيه: حُسن إسلامه، وهكذا.

الشاهد أن هذه الخصلة من حُسن الإسلام، وهي ترك ما لا ينفع في الآخرة، أي ترك ما لا يعني الإنسان، أي ترك فضول الأشياء، وما قد يضره أو لا ينفعه في الآخرة.

هذه الخلاصة حول هذا الحديث.

الحديث التاسع:

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يُسْأَلُ الرَّجُلُ فِيمَ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ" رواه أبو داود وغيره. [أبو داود: ٢١٤٧].

إسناد الحديث:

وهذا الحديث إسناده أيضًا ضعيف؛ وذلك أنه من طريق داود الأودي، عن عبد الرحمن المُسلي، عن الأشعث بن قيس، عن عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه-. وقال علي بن المديني -رحمه الله-: "إسناده مجهول".

وقال الذهبي: "فيه عبد الرحمن المُسلي لا يُعرف"، وقال ابن القطان: "لا يصح"؛ ولأجل ذلك لن نعلق على الحديث، خاصة وأن الموضوع الذي فيه هو موضوع ليس مرتبطًا بأساس باب المراقبة.

قد يكون النووي أوردته هنا لأنه هو مسؤول عما بينه وبين الله؛ أنه لا يُسأل، ولا يُحاسب على هذه القضية، وإنما هي فيما بينه وبين الله سبحانه وتعالى، هو الذي يراقبه وهو المسؤول عنه. قد يكون لأجل هذا المعنى أوردته النووي، وهذا من استنباطاته.

عمومًا النووي -رحمه الله- استنباطاته عجيبة وجميلة جدًا حقيقة في هذا الكتاب.

لكن الحديث فيه ضعف ظاهر، أو فيه جهالة واضحة، وله قصة عمومًا، لكن الباب تحققت مقاصده في الأحاديث السابقة، فأكتفي بهذا.

الخاتمة:

وَأَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَفْوُهُ وَالْعَافِيَةَ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.